

روح المعاني

إنا نريد أن تضيفنا الليلة فقال : أو ما سمعتم بعمل هؤلاء القوم فقالوا : وما عملهم فقال : أشهد بالله تعالى أنهم شر قوم في الأرض وقد كان الله تعالى قال للملائكة لا تعذبوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فلما قال هذه قال جبريل عليه السلام : هذه واحدة وتكرر القول منهم حتى كرر لوط الشهادة فتمت الأربع ثم دخل المدينة فدخلوا معه منزله وضاق بهم ذرعا أي طاقة وجهدا وهو في الأصل مصدر ذرع البعير بيديه يذرعه في مسيره إذا سار ماداً خطوه مأخوذ من الذراع وهي العضو المعروف ثم توسع فيه فوضع موضع الطاقة والجهد وذلك أن اليد كما تجعل مجازاً عن القوة فالذراع المعروفة كذلك وفي الصحاح يقال : ضقت بالأمر ذرعاً إذا لم تطقه ولم تقو عليه وأصل الذرع بسط اليد فكأنك تريد مددت يدي إليه فلم تنله وربما قالوا : ضقت به ذراعاً قال حميد بن ثور يصف ذئباً : وإن بات وحشا ليلة لم يضق بها ذراعاً ولم يصبح لها وهو خاشع وفي الكشف جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة كما قالوا : رجب الذراع بكذا إذا كان مطيقاً له والأصل فيه أن الرجل إذا طالت ذراعه نال ما لا يناله القصير الذراع ف ضرب ذلك مثلاً في العجز والقدرة ونصبه على أنه تمييز محول عن الفاعل أي ضاق بأمرهم وحالهم ذرعه وجوز أن يكون الذرع كناية عن الصدر والقلب وضيقه كناية عن شدة الإنقباض للعجز مدافعة المكروه والإحتيال فيه وهو على ما قيل : كناية متفرعة على كناية أخرى مشهورة وقيل : إنه مجاز لأن الحقيقة غير مرادة هنا وأبعد بعضهم في تخريج هذا الكلام فخرجه على أن المراد أن بدنه ضاق قدره عن احتمال ما وقع وقال هذا اليوم يوم عصب .

77 .

- أي شديد وأصله من العصب بمعنى الشد كأنه لشدة شره عصب بعضه ببعض وقال أبو عبيدة : سمي بذلك لأنه يعصب الناس بالشر قال الراجز : يوم عصب يعصب الأبطالاً عصب القوى السلم الطوالاً وفي معناه العصبوب والعصوب وجاءه أي لوطاً وهي في بيته مع أضيافه قومه يهرعون إليه قال أبو عبيدة : أي يسحثنون إليه كأنه يحث بعضهم بعضاً أو يحثهم كبيرهم ويسوقهم أو الطمع في الفاحشة والعمامة على قراءته مبنياً للمفعول وقرأ جماعة يهرعون بفتح الياء مبنياً للفاعل من هرع وأصله من الهرع وهو الدم الشديد السيال كأن بعضه يدفع بعضاً وجاء أهرع القوم إذا أسرعوا وفسر بعضهم الإهرع بالمشي بين الهرولة والجمز وعن ابن عباس أنه سئل عما في الآية فقال : المعنى يقبلون إليه بالغضب ثم أنشدوا مهلهل : فجاءوا يهرعون وهم أسارى نقودهم على رغم الأنوف وفي رواية أخرى عنه أنه فسر ذلك بيسرعون وهو بيان

للمرّاد ويستقيم على القرائتين وجملة يهرعون في موضع الحال من قومه أي جاءوا مھرعين إليه وروي أنه لما جاء لوط بضيفه لم يعلم ذلك أحد إلا أهل بيته فخرجت إمرأته حتى أتت مجالس قومها فقالت : إن لوطا قد أضاف الليلة فئة ما رأي مثلهم جمالا فحينئذ جاءوا يهرعون إليه ومن قبل أي من قبل وقت مجيئهم وقيل : من قبل بعث لوط رسولا إليهم كانوا يعملون السيئات قيل : المراد سيئة إتيان الذكور إلا أنها جمعت باعتبار تكررها أو باعتبار فاعليها .

وقيل : المراد ما يعم ذلك وإتيان النساء في محاشهن والمكاء والصفير واللعب بالحمام والقمار والاستهزاء